# The Duality of al-Zahir and al-Batin (the esoteric interpretation): A Reading of the Diwani Messages in Egypt during the Fatimid era

*Mohammad Alnaimat[1],Atef Almhameed[2]*

**ABSTRACT**

This paper deals with the study of the impact of the Shiism on the Arabic literature in general, and on the Fatimid literature in particular. It treats the issue of)al-Zahir and al-Batin(in the Holy Qur'an or what is called the esoteric interpretation. The Fatimid writers exerted more attention and paid their effort in employing Qur'anic verses through esoteric interpretation, their goal in that was to get the Imamate or the Caliphate, it was the utmost motivation for the esoteric interpretation. the Imamate was right for Ali bin Abi Talib and for his descendants and they sought to maintain this right contextually not by selection. The study deals with the concept of "esoteric interpretation" and its relationship to the issue of Alzaher and Albatin (deep and surface meaning), as it was mentioned in the Diwaniyah letters of the Fatimid writers. It also examines the manifestations of the esoteric interpretation with the Imam on one side and with the Fatimid writers on the other side. The study ends with presenting the elements of their use of esoteric interpretation through selected models from the Diwaniya messages, directly related to the thought and belief of the Fatimids.

**Keywords:** literature; messages; Fatimid; Shiism; esotericism.

* Al Hussein Bin Talal University

Received on 20/11/2020 and Accepted for Publication on 4/4/2021.

# ثنائيّة الظاهر والباطن (التأويل الباطنيّ) قراءة في الرسائل الديوانيّة في العصر الفاطمي في مصر

محمد النعيمات، عاطف المحاميد *

## ملخص

يُعنى هذا البحث بدراسة أثر التشيّع في الأدب العربي عامة والأدب الفاطمي خاصّة، ويتناول مسألة الظاهر والباطن في القرآن الكريم أو ما يسمى بـ"التأويل الباطني"؛ حيث بذل الكتّاب الفاطميون مزيد عنايتهم وغاية جهدهم في توظيف التأويل الباطني لآيات القرآن الكريم، وغايتهم في ذلك الإمامة أو الخلافة، وهي الباعث الأول على التأويل الباطني، فالإمامة عندهم حقّ لعلي بن أبي طالب، وهي واجبة التسلسل في نسله من بعده، وقد سعوا للحفاظ على هذا الحقّ نصًّا لا اختيارًا، ووقفت الدراسة عند مفهوم "التأويل الباطني" وعلاقته بمسألة الظاهر والباطن، كما ورد في الرسائل الديوانيّة عند الكتّاب الفاطميين، ومن ثَّم تناولت مصادر التأويل الباطني عند الإمام من جانب وعند الكتّاب الفاطميين من جانب آخر، وانتهت الدراسة بعرض مظاهر توظيفهم التأويل الباطني، مشفوعة بنصوص مختارة من الرسائل الديوانية ذات الصلة المباشرة بعقيدة الفاطميين وفكرهم.

**الكلمات الدالة:** الأدب، الرسائل، الديوانية، الفاطميون، التشيّع، التأويل.

**المقدمة**

يمثّل هذا البحث جزءًا في بناء الأرضيّة الفكريّة للأدباء والباحثين المهتمين بالأدب الفاطميّ، تحديدا النثر الفنيّ، فمن دون فهم الخلفيات الأيدلوجية والمبادئ المذهبية التي فرضت نفسها على الكتّاب الفاطميين في رسائلهم لا يمكنُنا تقييم إنتاجهم أدبيًا وفنيّا، وبخاصة في ظل ندرة الدراسات الأدبيّة المهتمة بدراسة نتاج الكتّاب الفاطميين الإسماعيليين.

اليوم يحاول الباحثان أن يستنبطَا أثر التشيّع في الرسائل الفنيّة (الديوانيّة) لدى الكتّاب الفاطميين في مصر من خلال مسألة الباطن والظاهر أو ما يعرف بـ (التأويل الباطني)، فالعقيدة الفاطميّة أوالإسماعيليّة ألقت بظلالها على نتاج العصر آنذاك، وبالتالي لا يمكنُ فصل نتاج مرحلة أدبيّة عن الاتجاهات الفكريّة التي ساهمت في انتاجها ومنحها سَمْتَها الخاصّ، فالكتّاب الديوانيون لسان حال خلفائهم، وعلى دينهم، ولا يمكن دراستهم بعيدا عن سياسة الدولة ومذهبها، وأوّل ما يواجه دارس أدب الفاطميين، تحديدًا نثرهم الفني، صعوبة فهم النصوص التي يحبّرونها، فالمصطلحات العقديّة حاضرة، والتأويل الباطني سلعة كلّ كاتب، ويكثر توظيف العقيدة الفاطمية، وبخاصة الرسائل الديوانية التي تحمل مضامين الولاية أو الخلافة، من هنا تعنى الدراسة بمسألة الظاهر والباطن أو (التأويل الباطني)، فهي مساهمة يتقدم بها الباحثان ضمن الدراسات الأدبية المعنية بدراسة النصوص النثرية الفنيّة القائمة على أساس عقدي فكري.

وجاءت الدراسة في مطالب عدّة، الأول منها يتناول مفهوم التأويل عامة؛ حيث عرض الباحثان مفهوم التأويل في كتب اللغة وعند العلماء وسرد ما قالوا في مصطلح التأويل، ثم عرض للتأويل في القرآن الكريم، وعند علماء اللاهوت لتكون تقدمة يمكن من خلالها تمييز التأويل الباطني عند الفاطميين أو الفرق الإسماعيلية عن التأويل عند غيرهم من الفرق الإسلامية أو الفكرية. وتناول المطلب الثاني من الدراسة "التأويل الباطني" وبيان معناه كما ورد في الرسائل الديوانية لدى الكتّاب الفاطميين، فهو نقل الآيات والألفاظ القرآنية من معانيها الحقيقة الظاهرة إلى معاني أخرى مجازية باطنه تتفق مع الهاجس السياسي والخلفية الأيدلوجية للمؤوِّل، دون الاستناد إلى ب رهان واضع أو دليل بيّن، وهذا التأويل الباطني لا يلتزم حدودًا ولا ضوابط، غايتهم في ذلك تحقيق الإمامة أو الخلافة في علي بن أبي طالب نصًّا لا اختيارًا.

وتناول المطلب الثالث مصادر التأويل الباطني لدى الكتاب الفاطميين، فمنها ما جاء متعلقًا بشخص الإمام، وتمثّل ذلك في ميراث الأئمة أو العلوم اللدنية التي يرثها الإمام عن الأئمة السابقين، وهذا هو الرافد الأكبر، ومنها ما جاء متأثرًا بالفلسفة الأفلاطونية

* جامعة الحسين بن طلال.

تاريخ استلام البحث 2020/11/20، وتاريخ قبوله 2021/4/4.

 ©2022 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

من خلال نظرية المثل والممثول التي تحاكي مسألة الظاهر والباطن لدى الفاطميين، ومنها ما تعلق بالروايات الدينية فجاءت تأويلاتهم محاكاة لقصص الأنبياء التي وردت في أسفار بني إسرائيل.

وتناول المطلب الرابع من الدراسة الجانب التطبيقي، ويتمثّل في مظاهر توظّيف الكتّاب الفاطميين للتأويل الباطني للنصوص الدينية في رسائلهم الديوانية، وجاءت هذه المطاهر على نحوين: الأول التأويل الباطني المباشر لآيات ومفردات القرآن الكريم، والثاني التأويل الباطني الإشاري أو غير المباشر الذي عرضوا من خلاله أهم المسائل الفاطمية نحو الإمامة وتسلسلها، والعلوم اللدنية، والمؤاخاة.

وتقوم هذه الدراسة على منهج تحليلي يتكئ على استقراء وتحليل الرسائل الديوانية للوصول إلى النتائج، علما أن التأويل الباطني لا يحضر في جلّ الرسائل الديوانية، وإنّما نجده في الرسائل التي تتناول أمور الولاية أو الخلافة والعقيدة الفاطمية، نحو أحقيّة الإمام في الإمامة، وتقليد الولاية، وتقليد القضاء، والدعوة للدولة والمشايعة لها.

**مفهوم التأويل**

تطالعنا المعاجم اللغويّة أن لفظ "التأويل" مصدر على وزن: "تفعيل"، من أوَّلَ يُؤَوِّل تأْوِيْلًا، وهي مأخوذة من الثلاثيّ (آل) بمعنى: رجع وعاد (الأزهري، 1967، أبو الحسين،1979، الجوهري، 1979، ابن منظور،2002م، الزبيدي، 1993). وأوَّل الكلام وتأوَّلهُ: دبَّره وقدَّره، وأوَّله وتأوَّله: فسَّره (ابن منظور،2002)، وقيل: التأويلُ من الأوْل، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه المَوْئِل للموضع الذي يُرجع إليه(الأصفهاني، 2009). ويتضح من المعاني السابقة أن التأويل في الدلالة اللغوية يراد به إرجاع إلى أصله أو إلى علله الأولى (أبو زيد، 1994، ص140)، ويُفهم من الدلالة اللغوية أنّ التأويل مسألة عقليّة؛ فالمؤوِل يحتاج مجموعة من العلوم الضرورية اللازمة للنفاذ إلى عالم النصّ وفضّ مغاليقه وصولًا إلى تأويله(أبو زيد، 1994، ص141)؛ أي توجيه الكلام إلى مقاصده الخفيّة، التي عادة ما تحتاج إلى تقدير وتدبير، ولا يختلف المعنيانِ في حقيقة الأمر، فالرجوع أو العودة إلى أصل الشيء لا يتحقق دون إدراك علله الخفيّة أو أسبابه الأصلية (أبو زيد، 1994، ص140).

أمل في الاصطلاح فالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، والتأوّلُ، والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحّ إلا ببيان غير لفظه(ابن منظور2002، والجوهري، 1979)، وتأويلُ الكلام عاقبتُهُ وما يؤول إليه (أبو الحسين، 1979)، وقيل في التأويل: هو حملُ الظاهرِ على المُحْتَمَلِ المَرْجُوح، فإن حُمِل لدليلٍ فصحيحٌ، أو لما يظنُّ دليلًا ففاسد، أولا لشيء فلعب لا تأويل (الزبيدي، 1993)، وقيل فيه: التأويل صرفُ الآية عن معناها الظاهر إلى معنىً تحتمله، إذا كان المُحْتَمَل الذي تُصْرَفُ إليه موافقًا للكتاب والسنة(الزبيدي، 1993). فالتأويل مرتبط بمسألة بيان الكلام، وكشف المعاني الخفيّة التي تَسْتَتِر وراء ظاهر الألفاظ أو الأفعال، ويحتاج دائما إلى دليل، وإلى قواعد وحدودٍ وضوابط لا بدّ منها، ومن دونها ينفسح المجال أمام الأفراد أو الجماعات لإسقاط أيديولوجياتها على النصّ، سواء الدينيّة أو اللّغويّة أو الأدبيّة وغير ذلك. (أبو زيد، 1994، ص141)

وأما لفظ "التأويل" في القرآن الكريم فقد ورد لفظًا سبع عشرة مرّة بصيغ متعددة المقاصد في مجالات القول والفعل والرؤيا، فمنها ما جاء في تأويل المتشابه نحو قوله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَاب}(سورة آل عمران، الآية: 7)، ومنها ما جاء في تأويل الأحلام نحو قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين}(سورة يوسف، الآيات:36)، ومنها ما ورد في تأويل الأحاديث نحو قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيم} (سورة يوسف، الآية: 6)، ومنها ما ورد في بيان السرّ في الأفعال أو الأشياء نحو قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِين}(سورة يونس، الآية 39)، ومنها ما ورد بمعنى العين أو الحقيقة الخارجية نحو قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُون}(سورة الأعراف، الآية: 53)، ومنها ما ورد بمعنى المآل والمرجع نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} (سورة النساء، الآية 59). ولفظ "التأويل" أو ما اشتق منها، في المواضع جميعها، لم يخرج عن معنى المآل أو الرجوع إلى الحقيقة سواء في عالم الشهادة أو في

عالم الغيب، فتأويل الرؤيا هو تعبيرها، وتأويل الحكم هو معياره، وتأويل الفعل هو المصلحة التي يعود الفعل إليها، وتأويل الحادث سببه الحقيقي. (الطباطبائي، ج3: ص: 27- 33)

والتأويل عند علماء اللاهوت هو تفسير الكتب المقدسة تفسيرًا رمزيًّا أو مجازيا يكشف عن معانيها الخفية، والتأويل عند (ليبنيز) مرادف للاستقراء، وهو البحث عن الأشياء للارتقاء فيها إلى العلة الأولى، وهي الله، وما يسميه الفيلسوف استقراء يسميه اللاهوتي تأويلًا، والغرض من الطريقتين معرفة بواطن الأشياء. (صليبا، ص: 234)

**مفهوم التأويل الباطني:** يختلف معنى التأويل الباطني عند الفاطميين "الإسماعيلية" عن معنى التأويل عند غيرهم من الفرق الأخرى، فالتأويل الباطني عند الفاطميين قد يكون صرفًا لظاهر اللفظ أو نقلًا له أو حملًا عليه ليؤدي معنى آخر دون دليل أو بعيدا عن موافقة القرآن والسنة، في حين يقترن التأويل عند الفرق الإسلامية عامة، كما يختلف التأويل الباطني عند الفاطميين عن مصطلح التأويل في اللغات الأوروبية؛ حيث جعلوه مقابلا لمصطلح "الهرمنيوطيقا" الذييراد به تفسير الكتاب المقدس، أو البحث عن المعاني الضائعة للكتاب المقدس.

ولفهم أعمق لمعنى التأويل الباطني لا بدّ لنا من فهم حاجة الفاطميين إلى التأويل، فقد لجأ الفاطميون على مدار قرنين من الزمن لعدّة وسائل تعينهم في بسط نفوذهم وتحقيق انتشارهم في مختلف الديار الإسلامية؛ سعيا وراء حلمهم في إقامة دولة إسماعيلية تحلّ مكان الدولة العباسية آنذاك، وسلكوا بذلك عدة طرق، منها ما يتعلق بقوة الدولة فكانة عنايتهم بالجيش، ومنها ما يتعلق بثراء الدولة فكانت الاحتفالات وعنايتهم البالغة برجال الدولة من القادة والوزراء والكتّاب، ومنها ما يتعلق بالجانب الفكريّ العقديّ فتمثّل ذلك في كلّ ما يصدر عن الدولة الفاطمية من مكاتبات، ويُعدّ الجانب الفكري العقدي من أخطر الطرق التي سلكتها الدولة الفاطمية؛ حيث حاولت صرفَ الناس عن عقيدتهم التي كانوا عليها، وتقديم عقيدة جديدة تقوم على مسألة (الولاية أو الإمامة)، ومن أهم الآليات التي لجأوا إليها في استمالة الناس إلى عقيدتهم الجديدة وإثبات شرعية خلافتهم للمسلمين (التأويل الباطني) فحاجتهم للتأويل لم تكن لغايات تفسير معاني النصّ القرآني، ولا لتنظيم عملية التفسير لتتناسب مع مستويات الفهم والإدراك، ولا لضبط التفسير بقواعد تجعله مثمرا، وإنما الغاية من ذلك سياسية، وهي حفظ الولاية أو الإمامة، وكثيرا ما تخضع تأويلاتهم إلى أهوائهم وميولهم العقدية والسياسية.

وليحققوا غايتهم من التأويل الباطني، ويسهل وصولهم إلى الناس عامة، أقاموا العديد من الشراكات ما بين النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، أهمها أن النبي محمد أفضى لعليّ بالعلوم الباطنة التي تعينه على كشف معاني القرآن للناس(الخطيب، ص: 30)، ويردد الكتّاب الفاطميون مثل هذا المعنى في رسائلهم الديوانية قبل تناول الغرض من الرسالة، من ذلك رسالة للقاضي الفاضل كتبها في ولاية العهد من خليفة لابنه، يقول فيها: "**الحمدُ للهِ الذي وَصَلَ النبوَّةَ بالإمامةِ وجعلَها كلمةً باقيةً في عقبِهِ إلى يومِ القيامة**" (القلقشندي، ج: 9، ص: 400)، فالكاتب يشير إلى مسألة الإمامة وتسلسلها بقوله: "وجعلها كلمة باقية في عقبه"، ولكنه يضيف إليها معنى جديدًا، وهو اتصال النبوّة بالإمامة، فالأمر في فكر الفاطميين يتجاوز حدّ المؤاخاة والعمومة والنسب بين محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب إلى أبعد من ذلك بكثير، وهي المشاركة في التأويل الباطني، أو ما يسمى في فكرهم المشاركة الكبرى، وهو العلم الذي خصّوا أنفسهم به، ولذا سموا بالباطنية، فقد جعلوا محمدًا صاحب التنزيل (القرآن الكريم)، في حين جعلوا عليًّا صاحب التأويل (تأويل القرآن).

ويختلف التأويل بمعناه الواقعيّ لدى الفاطميين عن التفسير لدى عامة الفرق الإسلامية الأخرى، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكلّ كلمة غامضة لا يفهم القارئ معناها، فإذا سألنا مثلا: ما هو تفسير كلمة شجرة؟ أجبنا: إنّها نبتة تُغرس صغيرةً، ثم تنمو فيتفرّع منها جذور وأغصان، ينبت عليها ورق أخضر، وفي الربيع تحمل أزهارًا، ثم تعقد ثمرًا طيبا... ألخ، أما إذا قلنا ما هو تأويل كلمة شجرة؟ فالإجابة تكون من المَعْنِيّ مباشرة بمسألة التأويل الباطني وهو الإمام، وبدوره قد يقول: إنّها حجرة، أو بقرة، أو صخرة، أو غير ذلك مما يجب أن يتلاءم مع الحقيقة، والواقع، والعقل أو الحاجة، فلا يكون غريبًا عن التصديق ولا بعيدًا عن الفكر. (المغربي، 1960، ص6)، فالتأويل أكثرُ عمقًا ودلالة من التفسير لدى الفاطميين، فالتفسير مرتبط بكشف المعاني الظاهرة للألفاظ، التي لا يختلف فيها اثنان، وهي المعاني العامة للألفاظ، التي يُدركها عامة الناس، كما أنَّك لا تجد صعوبة في توضيحها، أما التأويل الباطني فيختصّ بالمعاني الباطنة الخفيّة التي لا يمكن لعامة الناس فهمها أو استخراجها، ويختصّ التأويل الباطني بالمسؤول المباشر وهو الإمام.(المغربي، 1960، ص7)

**ثنائية الظاهر والباطن والتأويل الباطني.**

أوجب الفاطميون الاعتقاد بظاهر القرآن وباطنه، وكفّروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن أو الباطن دون الظاهر (داعي الدعاة، ص 105)، فكلاهما دليل على الآخر، ولا ينفصلان، وهذا ما يميّز التأويل الباطني عند الفاطميينَ عن غيرهم من الفرق الإسلامية

الأخرى، كما أنّهم ينسبون إليه بتسميتهم بـ "الباطنية"، وجعلوا ظاهر الدين في عقيدتهم من اختصاص النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في حين اختصّ علي بن أبي طالب بباطن الدين، وقد تمثّل الكتّاب الفاطميون مسألة الاختصاص في العديد من رسائلهم الديوانية، من ذلك رسالة جاءت في الدعوة للدولة الفاطميّة والمشايعة لها والموافقة على مذهبها، أوردها علي بن خلف الكاتب في مصنّفه (مواد البيان)، يقول فيها بعد الحمد: "**ويسأله الصلاةَ على سيّدِنا محمدٍ نبيّه الذي ابتعثَه رحمةً للعالمين، فأوضح معالم الدين، وشرع ظواهره للمسلمين، وأودعَ بواطنَه لوصيّه سيّدِ الوصيّين علي بنِ أبي طالب أميرِ المؤمنين، وفوّض إليه هدايةَ المستجيبين، والتأليفَ بين قلوبِ المؤمنين، ففجّر ينابيع الرَّشاد، وغوّرَ ضلالات الإلحاد، وقاتلَ على التأويلِ كما قاتلَ على الرُّسل**"(الكاتب، ص: 584–585. القلقشندي، ج: 10، ص443)، فالكاتب يشير صراحة إلى أن بيان معالم الدين وما ظهر منها من عبادات كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وغيرها، من واجبات النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في حين أنّ كشفَ بواطن الدين وما استتر منه عن الناس من مهام الوصيّ علي بن أبي طالب، فهو المخصوص بالتأويل الباطني.

ويرى الفاطميون أنّ القرآن أنزل على محمد، صلى الله عليه وسلم، بلفظه ومعناه الظاهر للناس، أما أسرار الدين أو التأويل الباطني فقد أنزلت على محمدٍ صلى الله عليه وسلم ولكنه خصّ بها عليا وأبناءه من بعده دون غيرهم من البشر، وهم دليل الناس على هذه الأسرار الباطنة(حسين، ص:25)، ويبدو هذا المعنى جليّا في رسالة ديوانية أخرى يردّ بها المستنصر بالله الفاطمي على كتاب لعلي بن محمد الصُليحي أحد ولاته ودعاته في اليمن، يقول فيها بعد الحمد والصلاة على النبي محمد، صلى الله عليه وسلم: "**صلّى اللهُ عليه وعلى أخيه أبينا أميرِ المؤمنين علي بنِ أبي طالب، تُرجمانِ تنزيله، وبابِ حكمته وتأويله، الكاشفِ لحقائقِ الإيمان**"(المستنصر بالله الفاطمي، ص39)، فالتأويل أول المهمات التي وكّل بها علي بن أبي طالب، ومن بعده الأئمة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وير الباحثان أنّ إخراج المعاني الباطنة من الألفاظ الظاهرة في القرآن الكريم هو التأويل الباطن في أبسط صوره، ولا يحتاج مثلُ هذا النوع من التأويل دليلًا ولا حدودًا أو ضوابط، وهو علم غيبي يرثه الإمام اللاحق عن الإمام السابق،لا يقبل التشكيك ولا الإنكار، وهو الدعامة الثانية، بعد الولاية، في العقيدة الفاطمية التي سعى الفاطميون من خلالها لضمان انقياد الناس للإمام ومبايعته والاستسلام له في كل أمور دينهم ودنياهم.(الغزالي، ص:55)

كما يتضح أنّ التأويل الباطني، في فكر الفاطميين، يقابل مصطلح (بواطن الدين) ويحملان الدلالة ذاتها، وهي من الواجبات الموكولة لشخص الإمام، وقد بذل الفاطميون جهدهم في الدفاع عن هذه الوظيفة، إن صحّ هذا الوصف، والتمسك بها، بها كما دافعوا عن الإمامة وتمسكوا بها، وهذا ما يظهر من قول الكاتب في النصّ السابق: "**وقاتلَ على التأويلِ كما قاتلَ على الرُّسل**"، وعليه فالتأويل الباطني عند الفاطميين هو الدعامة الثانية الأساسيّة التي تضاف إلى الدعامة الأولى وهي الإمامة.

والتأويل الباطني في عقيدة الفاطميين الإسماعيلية، حاجة، فالقرآن له معان غير تلك المعاني التي تتداولها ألسنة العامة، وهذه المعاني هي سرّ إعجاز القرآن، وإعجازه ليس في لفظه بل في معناه؛ لذا لا بدّ له من إخراج كنوزه ويتأوّلها (الشيرازي، ص: 13)، وهذا لا يتحقق إلا بشخص الإمام، يقول المؤيد (داعي الدعاة، ص: 101):

**إن كان إعجاز القرآن لفظًا ولم ينلْ معناه منهُ حظًا**
**صادفتُمُ معقودَه محلولا من أجل أنْ أنكرتُمُ تأويلًا**

**مصادر التأويل الباطني.**

اعتمد الفاطميون في استخلاص الظاهر من الباطن (التأويل الباطني) للنصّ القرآني وغيره على عدة مصادر، منها ما تعلق بالعلوم الغيبية التي يرثها الإمام، ومنها ما تصل بالثقافة الأفلاطونية، ومنها ما جاء مستمدا من أسفار بني إسرائيل، وتاليًا توضيح هذه المصادر:

**أولا: ميراث الأئمة:**

يعدّ ميراث الأئمة من أهم المصادر التي يعتمد عليها الفاطميون في مسألة استخلاص الظاهر من الباطن أو التأويل الباطني، وارتبط ميراث الأئمة بمسألة التأويل الباطني ارتباطا وثيقا، فهي من أهم الواجبات الموكّل بها الإمام عند الفاطميين خاصة والشيعة عامة، وهو المخصوص بهذه الوظيفة دون غيره في زمانه، فعليه أن يخرج المعاني الباطنة الخفيّة للألفاظ التي لا تدركها عامة الناس، وهو المعني بنقل هذه العلوم إلى من بعده، وهذا النقل يكون بالإشارة أو بالنصّ على ذلك وفق العقيدة الفاطميّة، وتأويل الإمام الباطني للنصوص الدينية لا يستند إلى دليل واضح وصريح، وهو أشبه بالتأويل المجازي الملازم في علاقته مع التصوّر الذاتي والمزاج الخاص للإمام، ويجب أن ينسجم هذا التصور الذاتي مع العقل والواقع والحقيقة في حينها، والحقيقة هي ما يراه الإمام

لا ما يراه الناس، وبالتالي من الصعب تحديد تأويل ما بلفظة بعينها، فاللفظة الواحدة ربما تجد لها غير تأويل بحسب ما يراه الإمام، وعليه لن ينجو النصّ– في مثل هذا الحال– من مسألة التأويل المستكره أو المذموم.(أبو زيد، ص141)

ويفسّر الكتّاب الفاطميون في رسائلهم الديوانية سببَ اختصاص الإمام بمسألة التأويل الباطني دون غيره من البشر، فالإمام هو من يرث الخلافة، أي من تنتقل فيه العلوم الباطنة، ومثل هذا المعنى نجده في رسالة لابن الصيرفي أحد الكتّاب الفاطميين، أنشأها بعد وفاة المستعلي بالله الفاطمي وتولّي ابنه الآمر بأحكام الله الخلافة من بعده، يقول في مستهل رسالته: "**يحمده أمير المؤمنين حمد شاكر على ما نقله فيه من دَرَج الإنافة، ونقله إليه من ميراث الخلافة... صلّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمّه أبينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، الذي أكرمه الله بالمنزلة العليّة، وانتخبه للإمامة رأفة بالبريّة، وخصّه بغوامض علم التنزيل، وجعل له مبرّة التعظيم ومزيّة التفضيل**"(السيوطي، ج:2، ص: 25)، فدَرج الإنافة، وميراث الخلافة، وغوامض التنزيل كلها رموز فاطميّة تحمل دلالة (التأويل الباطني)، ويشير الكاتب إلى انتقال هذه العلوم بين الأئمة بالميراث.

وهذا الميراث لا يقتصر على الشراكة الكبرى التي أوجدها الفاطميون بين محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، بل هي شراكة بين النبي محمد وكلّ إمام عصر من نسل علي بن أبي طالب، ونجد مثل هذا المعنى في الرسالة الديوانية السابقة؛ حيث يقول في موضع آخر: "**وقد كان الإمام المستعلي بالله قدس الله روحه عند نقلته جعل لي عقد الخلافة من بعده، وأودعني ما حازه من أبيه عن جده، وعهد إلى أن أخلفه في العالم، وأجري الكافة في العدل والإحسان على منهجه المتعالم، وأطلعني من العلوم على السرّ المكنون، وأفضى إلى من الحكمة بالغامض المصون**" (السيوطي، ج:2، ص: 26)، فـ(السر المكنون والغامض المصون) إشارتان إلى التأويل الباطني الذي ينتقل بالميراث في نسل الأئمة الفاطميين.

ومن الأمثلة التي تطالعنا في الرسائل الديوانية وتوضّح مسألة تعلق التأويل الباطني بشخص الإمام دون غيره بحكم ميراثه العلومَ الغيبيّة ما نجده في رسالة لابن الصيرفي عُرفت الرسالة بـ"الهداية الآمرية في إبطال دعوى النزارية وإيقاع صواعق الإرغام في إدحاض حجج أولئك اللئام"" (ابن ميسّر، ص: 98– 100، والشّيّال، ص: 47– 48)، يقول في تبرير تولية المستنصر بالله الفاطمي الخلافة لابنه المستعلي بالله الفاطمي: "**وإنما فعل هذا مولانا المستنصر بالله، لأنه لما تضمّن من مكنون علمه أن الإمام يولدُ في طرفِ عمره، وعلم أن قلوبَ الضعفاء ربما توحّشت إن لم تكن تسكن لشيء يشغلها**"(ابن الصرفي، ص: 20)، فالكاتب يتكئ على اختصاص الإمام في العلوم الغيبية ليتأول ما قام به الإمام المستنصر بالله عندما ولّى المستعلي الخلافة دون أخيه نزار، ويشير الكاتب إلى مصدر التأويل صراحة بقوله: (مكنون علمه)، وهي إشارة صريحة إلى تلك العلوم اللدنية أو الغيبية التي يرثها الإمام، ويحكم الناس في أمور دينهم ودنياهم بموجبها، من جانب آخر يرى الباحثان أن مثل هذا السلوك لا يتجاوز مسألة التبرير والالتماس، فالكتّاب يجتهدون كثيرا في تبرير أحكام وأفعال الأئمة أمام الناس ليسهل عليهم تقبلها، فكلّ ما يصدر عن الإمام مصدره ميراث الأئمة السابقين له، ويتمثل هذا الميراث بالعلوم الإلهية أو اللدنية المودعة في شخص الإمام، وعليه فكل ما يصدر عن الإمام لا يقبل النقاش أو الرفض، وهي من المكاسب التي تنتقل إلى الإمام القائم عن الإمام السابق، وتبقى في نسل الأئمة الفاطميين إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وهذا ما يذكره الكاتب صراحة في الرسالة ذاتها، يقول: "**وانتقلت إليه جميع مكاسبه الباطنة والظاهرة**". (ابن الصيرفي، ص21)

وولا ينحصر التأويل الباطني في شخص الإمام فقط، فهو مصدر التأويل في اعتقاد الفاطميين، ولكنّه يورّث أولياءه ودعاته العلوم الخاصّة بعلم (التأويل الباطني)، ويطلق على هذه العملية (إقامة الدعوة الهادية)، ويظهر ذلك في رسالة للدعوة للدولة الفاطمية والمشايعة لها، يقول الكاتب: "**وإنّ أمير المؤمنين، بما منحه اللهُ تعالى من شرفِ الحكمةِ، وأورثَه من منصبِ الإمامةِ والائمّةِ، وفوّضَ إليه من التوقيفِ على حدودِ الدّينِ... يعلنُ بإقامةِ الدعوةِ الهاديةِ بينَ أوليائِه، وسبوغِ ظلّها على أشياعِه وخلصائِه، وتغذيةِ أفهامِهِم بلبانِها، وإرهافِ عقولِهم ببيانِها، وتهذيبِ أفكارِهم بلطائفِها، وانقاذِهم من حَيْرَة الشكوكِ بمعارفِها، وتوقيفِهم من علومِها على ما يَلْحَبُ لهم سبلَ الرّضوان**"(الكاتب، ص:585، والقلقشندي، ج10، ص:443)، فالإمام مستندٌ إلى ما حازه من الحكمة وهي (العلوم الباطنية أو التأويل الباطني) وبما ناله من شرف الولاية يعلن إقامة الدعوة الهادية أو الفاطميّة بين أوليائه في مختلف البقاع؛ ليكونوا عونا له في نشر الدعوة الفاطمية، ويؤكد ذلك المعنى أنّ الكاتب بعد ذكر صلاحيات الإمام بإعلان الدعوة الهادية بين أوليائه يورد مصطلحات عدّة للعلوم الباطنة التي يورّثها الإمامُ غيره، فهي: الأسرار المدفونه، والغوامض المكنونه، والحقائق الخفيّة، والدقائق المطويّة (الكاتب، ص:585، والقلقشندي، ج10، ص:443)، ثم يتبع كاتب الرسالة ذِكْرا لصفات من ينوب عن الإمام في التأويل، أي من يَرِث هذه العلوم الباطنة، يقول الكاتب: "**حتى أدّاه الاجتهادُ إليك، ووفقّه الارتيادُ عليك، فأسندَها منكَ إلى كفئِها وكافِيها، ومُدرِهِهَا المبرّز فيها... ثقةً بوثاثةِ دينك، وصحةِ يقينِك، وشهودِ هديك وهداك، وفضلِ سيرتِك**

**في كلّ مَن ولّاك، ومحضِ إخلاصِك، وقديمِ اختصاصك"**(الكاتب، ص:585، والقلقشندي، ج10، ص:443)، فالتدين، وصحة اليقين، وحسن السيرة، والاخلاص للولاة والأئمة، وعمق المعرفة بأمور العقيدة الفاطمية، من الأمور المطلوبة لمن يُورَّث هذه العلوم.

وعلى الدعاة الذين يلقنون أسرار الدعوة الفاطميّة العودة إلى الإمام حال اختلف عليهم أمر من أمور الدعوة، فهو المفوَّض من الله، في اعتقادهم، لكشف الحقيقة وبيان خفاياها، وهذا ما يذكره علي بن خلف الكاتب في رسالة الدعوة للدولة والمشايعة لها، يقول: "**وإذا ألبسَ عليك أمرٌ وأشكل، وصعبَ لديك مرامٌ وأعضل، فأنهِهِ إلى حضرةِ الإمامةِ متَّبعًا قولَ الله تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}**(سورة النحل، آية 43)،**وقوله:{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا}**(سورة النساء، آية 59)،**ليخرجَ إليك من بصائرِ توقِيْفِها ومراشدِ تعريفها، ما يقفُكَ على مناهجِ الحقيقة، ويذهبُ بك في لاحِبِ الطريقة"**(الكاتب، ص:588، والقلقشندي، ج10، ص:446)، فطلب العلم فيما أشكل واختلف فيه لا يكون إلا عن الإمام، فهو من يدرك بواطن الأشياء الخفيّة، ويعتمد الكاتب في تقرير هذه المسألة في أذهان المتلقين على التأويل الباطني؛ حيث يأتي بالتأويل الباطني بقوله: "فانهه إلى حضرة الإمامة" ثم يأتي بالنص القرآني المُؤوَّل **{فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}** مؤكدًا صحة الاعتقاد في اعتقاده، ويعتقد الفاطميون أنّ السؤال فيما أشْكل لا يكون إلا للأئمة من أهل بيت الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم.(المغربي، ص:200،117)

ولا ينحصر العلم بالتأويل بالأئمة والدعاة، بل على الولاة أن يدركوا خفايا ورموز العقيدة الفاطميّة التي يقوم عليها علم التأويل لديهم، ومن ذلك ما نجده في رسالة بالولاية موجهة من الإمام الفاطمي المستنصر بالله في القاهرة إلى علي بن محمد الصليحي في اليمن، يوصيه في ولايته بالجمع بين الظاهر والباطن من العبادة، يقول: "**والمحافظة على شريعة جدِّه رسولِ الله، صلى الله عليه وسلم، عملا بأوضاعِ صلاتِها وزكاتِها، ووفاءً بحقوقِ مفروضاتِها ومسنوناتِها، وعلمًا بخفيّاتِ رموزِها، واستخلاصًا لحقوقِها من كنوزِها"**(المستنصر بالله الفاطمي، ص: 33)، فالخليفة الفاطمي المستنصر بالله حريص على علم الولاة بالرموز الخفيّة الخاصّة بالعقيدة الفاطميّة، مؤكدا أنّ الإمام مصدرهم لمعرفة حقائق الأشياء، وقد رمز بقوله: خفيات رموزها، إلى العلم الباطن، وللأئمة مصدر التأويل بقوله:"كنوزها".

ومن الجدير بالذكر في هذا الموضع أن الفاطميين يحلّون مسألة التأويل الباطن محلّ القياس في العقيدة، ويرون أن القرآن الكريم وسنّة نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، غنيّة عن القياس، ودليل ذلك ما ورد في رسالة القاضي الفاضل عن العاضد لدين الله الفاطميّ بولاية بعض القضاة، يقول فيها: "**وكتابُ اللهِ وسنةِ رسولِه السراجانِ اللذانِ ما ضلّ هُداهما، والمهادان اللذانِ ما أوضَحَهما إليه وأبداهما؛ وقد أغنت نصوصُهما عن الأقْيِسَة، وأوضحَ خصوصُهما عامةَ الأمور الملتبسة، قال الله سبحانه: {مَّا فَرَّطْنَافِي الكِتَابِ مِن شَيء} (سورة الأنعام، آية 38)، وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} (سورة الحشر، آية 7)، وإنّ أشكلت نازلةٌ غيرُ مسطورة، وأعضلت واقعةٌ غيرُ محصورة، فاسترشدْ أميرَ المؤمنينَ في أمرِها، وقفْ على بحارِ علمِه فلن تعدمَ سيْحَ دَرّها، فأميرُ المؤمنينَ الذي أمرَ الله عندَ التنازعِ بأن نردّ إليه ما أعضل، وأثّمَ أخذَك للاستنباطِ إلا من الذين حكمَ اللهُ أن يردَّ عليهم ما أشكل" (القلقشندي، ج10، ص439)**، فالكاتب يحمل قوله تعالى: **{مَّا فَرَّطْنَافِي الكِتَابِ مِن شَيء}** في تأويله الباطني على رفض مسألة القياس، ويشير صراحة أنّ القرآن والسنة أوضحا عامة الأحكام التي يحتاجها الناس، وهذا شكل من أشكال التأويل المجازي؛ حيث يخضع الكاتب النصّ القرآني لتصوره الذاتي.

مما سبق يتضح للباحثينِ أن التأويل الباطني لدى الفاطميين لا يمكن أن يكون منهجًا أو نظرية تتأول بها النصّ القرآني، فلا يخضع لأدلّة ولا لبراهين، ولا ينضبط بحدود، وهو فيما عرضنا لا يتجاوز حدود الميراث في عقيدة الفاطميين، ومحكوم بأشخاص بعينها، نحو الإمام، أو المستجيبين للدعوة الفاطمية، أو الولاة في مختلف الأمصار، ويُخضع هؤلاء النصّ القرآني من خلال التأويل الباطني إلى ذاتيتهم ومزاجهم وحاجتهم للإقناع، كما يصبغون تأويلاتهم الباطنية بالصبغة الدينية، ولا غرابة في ذلك فالولاية هي المحور الأساس الذي تدور حولها جميع عقائدعم، وتأويلاتهم الباطنية في مجملها تنتهي إلى نتيجة واحدة وهي الوصي والإمامة. (حسين، ص: 28)

**ثانيا: نظرية المثل والممثول:**

ومن مصادر التأويل الباطني عند الفاطميين التي وظّفوها في استخلاص المعنى الباطن من الظاهر الفلسفة الأفلاطونية، ويتمثل ذلك في نظرية (المثل والممثول) الأفلاطونية؛ فهم يفسرون الأمور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها ويماثلها من الأمور الجثمانية المحسوسة، فالمثل هو الكلام الدّال على الشيء، وهو الظاهر، والممثول هو مقصود الكلام الباطني الذي يدلّ عليه، وهو الباطن (ظهير، ص 483)، فجسم الإنسان مثل وروحه ممثول، والدنيا مثل والآخرة ممثول، ويتأوّلون في هذا المعنى قوله تعالى: **{ولقَد**

**ضَرَبْنا للنَّاسِ في هذا القُرآنِ من كلِّ مثلٍ لعلَّهم يتذكَّرونَ}**(سورة الزمر، آية 27)، ففي معتقدهم أن الله تعالى ضرب إليهم الأمثال وأخفى عنهم ممثولاتها، وجعلَ معرفتها– أي الممثولات– طريقًا إلى معرفته واختبارًا لعباده، وعليه فنظرية المثل والممثول هي أساس عقيدة الفاطميين في التأويل. (داعي الدعاة، ص 106، 107)

ونظرية (المثل والممثول) قديمة ذكرها أفلاطون، وأساسها أن للموجودات صورًا في عالم الإله، وكان يسميها المُثل الإلهية، وهذه المُثل الإلهية لا تنتهي ولا تفسد وإنما هي باقية، الذييفسد وينتهي إنما هي الموجودات، كما تؤمن أنّ لكلّ نوع من الأنواع الجسمانية فردًا في عالم العقل، وهذا ما يتقاطع مع فهم الفاطميين للتأويل الباطني، فلكلّ ظاهر باطن، ويرى الباحثان أن أخذَ الفاطميين بأسس (نظرية المثل والممثول الأفلاطونية) هو انعكاس لأثر الأفكار الفلسفية الأفلاطونيّة في عقائد الفرق الإسلامية عامة، ومنها الفاطمية الإسماعيلية خاصة.

ومن النصوص النثرية التي يتضح فيها مثل هذا المعنى رسالةٌ بالدعوة للولة الفاطمية والمشايعة لها والموافقة على مذهبها، يقول فيها ابن الصيرفي بعد الحمد والثناء على الله: "**ويسألُه الصلاةَ على سيّدنا محمدٍ نبيّه الذي ابتعثَه رحمةً للعالمينَ، فأوضحَ معالمَ الدين، وشَرَعَ ظواهرَه للمسلمينَ، وأودع بواطنَه لوصيّه سيّد الوصيين: عليّ بنِ أبي طالب أميرِ المؤمنين... وقاتلَ على التأويل كما قاتل على الرسل، حتى أنار وأوضح السُّبل، وحسر نقاب البيان، وأطلع شمس البرهان" (القلقشندي، ج: 10، ص: 442–443)، فالدين** علم ظاهر عام لعامة المسلمين، وفيه علم باطن خفي خاص بالمستجيبين للدعوة الفاطمية، ووظاهره دليل على باطنه، ولا يقبل الباطن بعيدا عن الظاهر، فهما كالجسد والروح متلازمان، وعليه فالظاهر مثل والباطن ممثول، لا يتحصل العلم بالباطن إلا من خلال التأويل، فهو أساس بيان الإمام وبرهانه على الناس.

**ثالثا: الروايات الدينية (أسفار بني إسرائيل):**

تظهر لنا الرسائل الديوانيّة مصدرا ثالث للفاطميين يعتمدون عليه في تأويلهم الباطني، فهم يعتمدون على الروايات الدينية التي وردت في أسفار بني إسرائيل، محاولين التوفيق بينها وبين النصّ القرآني، وهذا شكل من أشكال المسحة الدينيّة التي يضفونا على تأويلهم الباطني؛ ليكون وقعها في أذهان الناس أسرع وأعمق، ومن ذلك ما ذكره ابن الصيرفي في إحدى رسائلة الديوانية الموسومة بالهداية الآمرية، يقول في محضر أحقيّة المستعلي بالله بالإمامة وإنكارها على أخيه نزار: "**ومما يعضدُ هذا التأويلَ ما وردَ في أسفارِ بني إسرائيل من أنَّ سليمانَ نصّ بالإمامةِ على ولدِه رَجيعون كما نصّ مولانا المستنصرُ بالله على مولانا المستعلي بالله، فحسدَه المسمى ببَريَعون فخرج عليه واتّبعه جماعة ممن ممن أضلهم بمكرِهِ، واستهواهم بسحرِهِ وغيّر لهم نصوصَ الدّين، وأزالهم عن الصراطِ الواضحِ المبين كما فعل نزار في خروجِهِ على مولانا المستعلي بالله، وكانت الدائرةُ على بريعون وأصحابِه كما كانت الدائرةُ على نزارٍ وأصحابه، وكانت العاقبة لابن سليمانَ صاحبِ الحقّ، كما كانت العاقبةُ لمولانا المستعلي بالله، أميرِ المؤمنين**" **(ابن الصيرفي، ص: 16)**، فالكاتب يقابل ما حصل بين ابنيْ المستنصر بالله الفاطمي وكيف آلت الإمام إلى المستعلي، مع ما ورد في أسفار بني إسرائيل عن ابني النبي سليمان، عليه السلام، وكيف آل الملك لابنه رجيعون، محاولًا بذلك حمل قصة النبي سليمان، عليه السلام تأويلًاعلى ما حدث مع المستنصر بالله الفاطمي، وهذا هو نهج الكتّاب الفاطميين، فهم يبذلون قصارى جهدهم في التأويل الباطني دفاعًا عن الأئمة وإثباتًا لأحقيتهم في الإمامة دون غيرهم، حتى لو كانوا من أصحاب المذهب الواحد.

**مظاهر التأويل الباطني في رسائل الكتّاب الفاطميين:**

بدا التأويل الباطني واضحًا في الرسائل الديوانيّة الفاطميّة التي بين يدي الباحثينِ، خاصة تلك الرسائل التي تحمل مضامين عقديّة سياسيّة تتعلق بالإمامة والإمام، نحو الدعوة إلى مشايعة الدولة الفاطمية والموافقة على مذهبها، وانتقال الخلافة في الأئمة الفاطميين، ورسائل العهود، والبيعات، والردّ على الخصوم من داخل المذهب وخارجه.

وقد عرَف الكتّاب الفاطميون مصطلح (التأويل)، مدركين أنّ ما يوظّفونه في رسائلهم تأويلًا وليس استدلالًا بكتاب الله أو تفسيرًا لمفرداته، فهذا ابن الصيرفي أحد أشهر الكتاب الفاطميين يردّد مفردة (التأويل) في رسالته الموسومة بالهداية الآمريّة في الردّ على خصومهم الطائفة النزاريّة غير مرّة؛ إذ يقول: "**وذلك أنّ من صدّ عن حدودِ الله وعلومهم الإلهية وتأوّل على الولاية وتحكم في الإمامة**" (ابن الصيرفي، ص:4)، وفي موضع آخر يعلّق على قوله تعالى: "**{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُون}(سورة البقرة، الآية: 79)، هذه الآية عند أهلِ التأويلِ هي ببيان أمثال هؤلاء الذين يعملون في اختيار الأئمة على آرائهم جهلًا بحدود الله**"(ابن الصيرفي، ص:5، 6)، وفي موضع ثالث في الرسالة ذاتها يقول: "**لا موضع تأوّل فيه ولا اشتباه**"(ابن الصيرفي، ص:16) ويقول: "**ومما يعضد هذا التأويل**"(ابن الصيرفي، ص:16)، ويقول: "**وهذه نكتة لا يعلم تأويلها إلا الراسخون في العلم**"(ابن الصيرفي، ص:20)، ويقول: "**ولا خلاف بين**

**أهل التأويل"**(ابن الصيرفي، ص:20)، ويقول: "**فإنه أشار عند جميع أهل التأويل**"(ابن الصيرفي، ص:21)، وتشي العبارات السابقة إلى مسألة غاية في الأهمية وهي أن الكتّاب لا يؤولون النصّ القرآني وإنما ينقلون في رسائلهم تأويل أهل الاختصاص، ودليل ذلك عبارة (أهل التأويل)، وهذا ما سبق تناوله من أن التأويل الباطني مختص بالإمام أو من يُنيبه عنه.

**وسلك الكتّابُ الفاطميون في توظيف التأويل الباطني في رسائلهم الديوانيّة عدّة مسالك، أميزها:**

**أولا: التأويل الباطني الصريح المباشر:**

توسّع الكتّاب الفاطميونَ في تأويلِ القرآن الكريم في رسائلهم الديوانيّة تأويلا باطنيًا، فذهبوا إلى تأويل الآيات القرآنية بجملتها تأويلا باطنيا، وربّما يؤولون المفردات القرآنية، أو أفعال القرآن الكريم، كما أنهم يخضعون القصص القرآني لتأويلاتهم الباطنية، وقد حرص الكتّاب الفاطميون في رسائلهم الديوانية على اتفاق تأويلاتهم الباطنية مع مسائلهم العقدية، وبما يلبّي حاجاتهم السياسية.

وأوّل أشكال التأويل الباطني الصريح المشار إليها تأويل الآية القرآنية بمجملها؛ حيث يصرفون المعنى الحقيقي لإحدى الآيات القرآنيّة إلى معنى آخر دون دليل، ومثل هذا النوع من التأويل الباطني لا يبتعد كثيرا عن الاستشهاد بالأدلّة القرآنية، ولكنه استدلال خاص، وتأويل النصّ القرآني لا يُحْمل وقت تأويله إلا على هذا المعنى، ووظّف الكتّابُ الفاطميون مثل هذا النوع من التأويل في معالجة العديد من المسائل الفاطمية، ومنها مسألة وجوب الإمامة، ومثال ذلك ما نجده في رسالة ديوانية في الدعوة للدولة الفاطمية والمشايعة لها من إنشاء علي بن خلف الكاتب، يقول فيها بعد الحمد والثناء على الله: "**وحاطَهَما بأوليائِهِ الراشدينَ شُموسِ الحَقائقِ، الذين نَصَبَهم في أرضِه أعلامًا، وجعلَهُم بينَ عبادِهِ حكّامًا، فقال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}(سورة الأنبياء، الآية: 73)"(الكاتب، ص: 584، والقلقشندي، ج10، ص: 442)**، فالكاتب يأتي على ذكر مسألة وجوب الإمامة، وكيف أن الله فرض على الخلق وجود الأئمة بينهم، ويرمز إليهم بقوله: "شموس الحقائق، وأعلامًا"، فهم حقيقة، لا تقبل التشكيك ولا الخلاف، ثم يعضد تأويله الباطني بآية قرآنية، في معتقدهم، أنّ الله أودعها هذا المعنى الباطني، وهذا شكل من أشكال صرف الآية عن معناها الحقيقي؛ حيث تشير الآية إلى أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب الذين أرشدهم لهداية الناس، إلى معنى آخر مجازي وهو وجوب الإمامة من خلال توظيف التأويل الباطني.

ولا يقتصر تأويل القرآن الكريم على الآيات القرآنية، بل نجدهم يتأوّلون المفردات القرآنية تأويلًا باطنيًا صريحًا، وهذا شكل آخر من أشكال توظيف التأويل الباطني في القرآن الكريم، فيصرفون المفردة القرآنية عن معناها الحقيقي إلى آخر مجازي، يتناسب مع تصورهم الذاتي وأمزجتهم العقدية، ومن ذلك ما جاء به ابن الصيرفي الكاتب في رسالة الهداية الآمرية، يقول: "**فإنّ العزة إنّما هي مرتبةُ الإيمانِ التي أخلّوا بها، ولم يتمسكوا بسببِها، ولهذا باءوا بغضب من الله، حينَ فارقُوا رحمتَه التي هي عصْمةُ إمامِ الزمان، وانضووا إلى أضدادِهِ الذين هم في الحقيقةِ غضبُ الرحمن" (ابن الصيرفي، ص4)**، فالكاتب يضمّن نصّه مجموعة من المفردات القرآنية، وهي: (العزّة) (سورة النساء، آية:139) ويُراد بها في الآية القرآنية الغلبة والقوة (الصابوني، م:1، ص: 311)، و(بسببها) (سورة الحج، الآية: 15) ويراد بها الحبل (الصابوني، م:2، ص:238)، و(رحمته) (سورة الزخرف، الآية:32) ويراد بها النبوّة (الصابوني، م:3، ص: 156)، و(أضداده) (سورة مريم، الآية: 82) أي أعداء لهم (الصابوني، م:2، ص: 226)، ثم يصرف هذه المفردات عن معانيها الحقيقة إلى معاني مجازية باطنة يتأوّلُها، فـ(العزة) في تأويله الباطني الذي يورده هي مرتبة الإيمان، أي الإيمان بوجوب الإمامة. وأمّا (بسببها) فهو شخص الإمام الذي وجب الانقياد له؛ لوجوب الإمامة، و(رحمته) هي عصمة الإمام التي يمنحها لكلّ مُنقاد ومُستجيب لدعوتهم، وأما (أضداده) فهم غضب الله سبحانه وتعالى، وهذا شكل آخر من أشكال تأويل القرآن الكريم تأويلًا باطنيًا يتناسب وحاجتهم السياسية في الدفاع عن أئمتم.

ومن أشكال التأويل الباطني للقرآن الكريم تأويل أفعال القرآن، أي صرف دلالات الأفعال عما وضعت له إلى مدلالات باطنية تنسجم مع حاجتهم السياسية، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن الصيرفي في رسالة الهداية الآمرية؛ حيث يورد مجموعة من التأويلات الباطنية يدعم بها فكرة صحة إمامة المستعلي بالله الفاطمي، يقول: "**وقد أعطى الله السببَ في ضربِ الذلّةِ والمسكنةِ على من جَحدَ حقَّ الوصيّ والإمام، ومالَ إلى الضلالة، ولم يصبرْ على صنفٍ واحدٍ من الطعام بقوله سبحانه: {ذلك بأنَّهم كانوا يكفرون بآيات الله} (سورة آل عمران، الآية: 112)، وبقوله: {ويقتلون الأنبياء بغير حقّ}، يعني يسلبون أرباب الحقّ مرتبتهم ويقيمون دعوةَ أضدادهم**" (ابن الصيرفي، ص: 3-4)، فالكاتب يجعل للفعل (يكفرون) في قوله تعالى: **{**يكفرون بآيات الله**}** معنى باطنيًا يذكره في سياق حديثه وهو إنكار الوصية والإمامة، ويجعل للفعل (يقتلون) في قوله تعالى: **{**ويقتلون الأنبياء**}** معنى باطنيًّا يذكره في سياق حديثه وهو سلب الحقّ من أهله، وهذا شكل من أشكال التأويل الباطني؛ حيث يصرف الكاتب الفعل عن المعنى الحقيقي أي إنكار آيات الله وقتل الأنبياء إلى معنى آخر مجازي دون دليل، وهو إنكار الوصية أو الإمامة عن الإمام القائم وهو

المستعلي بالله الفاطمي، وفي مثل هذا الموضع يتضح لنا حجم المبالغة التي يمارسونها في سبيل الدفاع عن أئمتهم وتصحيح خلافتهم، فهم يخضعون النصّ القرآني إلى حاجتهم السياسية وتوجهاتهم الذاتية.

ويضاف إلى أشكال التأويل الباطني للقرآن الكريم شكل آخر وهو تأويل القصص القرآني، فقد يحمل الكاتب ظاهر القصص القرآني على معانٍ باطنةٍ تتناسب مع مقتضى واقعه السياسي والعقدي، ومن أبين الأمثلة على هذا النوع ما ورد في سجل الهداية الآمريّة لابن الصيرفي؛ إذْ يتأوّل ما حدث مع المستنصر بالله الفاطمي عندما عقد أمرَ الخلافة من بعده لابنه المستعلي بالله الفاطمي بقصّة النبي سليمان، عليه السلام، يقول: **"وهذه أمورٌ جليّةٌ لا يكابر فيها إلا من يجحد العيان ويدفع البرهان، وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ} (سورة البقرة، الآية: 102)، ذلك أنّ مولانا المستنصر بالله من دوره بمنزلةِ سليمان من بني إسرائيل، وهو المشار إليه بسليمان، وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم: كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة (البخاري، م: 7320، ص:1808)، فسليمان هذه الأمة هو مولانا المستنصر بالله، لأنه واقع في الرتبة العدد من أئمة دوره موقع سليمان في الرتبة والعدد من أئمة دوره، وأيضا فإنه أوتي ملكا لم يؤتَ مثله أحدٌ من آبائه طولًا وتمكينًا كما أوتي سليمان، وسخرت له الريح والشياطين كما سخرت لسليمان، فتسخير الريح تأييده في كلّ مقام، وتسخيرُ الشياطين له انقيادُ المارقين له والمخالفين لأمره ونهيه، وقوله: "وما كفر سليمان" أي ما كفر مولانا المستنصر بالله، ولا جحدَ حقيقةَ علمِهِ في معنى الإمام من بعده، بل عقدَ الإمامةَ لمولانا المستعلي بالله في يومِ النكاح على رؤوسِ الأشهاد، ونصّ عليه في دقيقة انتقاله لا موضع تأوّل فيه ولا اشتباه على أحد من حاضريه، وكفر بذلك من اتّبع الهوى وآثر الدنيا؛ إذ كانت الخلافة والإمامة محلّ المنافسةِ وباعثَ الحسد، ولهذا قال سبحانه: "ولكنّ الشياطين كفروا" أي هؤلاء الذين شطَنُوا عن الحقّ وبالغوا في الحيلةِ فضلّوا وأضلّوا"(ابن الصيرفي، ص: 15-16)**، ويمكننا أن نرى في هذا النصّ نموذجًا تطبيقيًّا حيّا، يضاف لما سبق، على مسألة التأويل الباطني لدى الكتّاب الفاطميين، وكيف يحوّلون النص القرآني بتأويله من وظيفته الشرعية إلى الوظيفة السياسيّة المذهبيّة النفعيّة (فيدوح ص: 90)، وهذا هو منهجهم في التأويل، فالكاتب يبذل ما في جهده لاستخراج أفكاره التي تنسجم مع النصّ الشرعيّ؛ رغبة في تأييد فكره ومواقفه. فالكاتب يشير صراحة أنّ النصّ القرآنيّ السابق جاء في وصف مشهد المبايعة على الإمامة للمستعلي بالله الفاطميّ دون أخيه نزار، بعد انتقال الإمام المستنصر بالله الفاطمي، مبينا موقف كلّ طرف، المستعلي بالله ومن بايعه من جانب، ونزار وأعوانه المنكرين الإمامة عليه من جانب آخر، يقول الكاتب: "**وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله**"، وهذه عبارة دالة على تأويلهم النص الشرعي، ثم ينتقل إلى تفصيل ذلك من خلال مسألة التأويل الباطني، متكئا على أمرين: الأول فكرة الأدوار، أي أن الإمامة بدأت منذ عهد آدم عليه السلام، وتسلسلت تسلسلا منطقيا مرتكزا على النصوص الواردة في التوراة والإنجيل، ثم جعلوا كلّ دور يتكون من إمام مقيم ورسول ناطق وأساس وسبعة أئمة، يكون سابعهم متمم الدور (تامر، ص: 142 وما بعدها) والترتيب بين الأئمة، وعلى هذا فترتيب المستنصر بالله بين الأئمة بمنزلة النبي سليمان، عليه السلام، من دور الأنبياء في بني إسرائيل، ثم يستشهد بحديث الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، في تبرير لجوئه لمسألة الترتيب أو الأدوار بين الأئمة، بقوله: "**وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم: كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة**"، ويرى الباحثان أنّ هذا الاستشهاد في غير موضعة؛ فالكاتب جاء بنصّ الحديث بما يتناسب مع فكره، مشيرا إلى أنّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، أشار إلى ضرورة الاقتداء ببني إسرائيل والنصارى، في إشارة للفاطميين واقتدائهم ببني إسرائيل، وهذا غير ممكن على الإطلاق؛ لأنّه ما صحّ عن النبي مخالف لذلك تماما (البخاري، مسألة: 7320، ص: 1808)' فالغرض من الحديث الاعتصام بالقرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، وهذا ما ورد في الكتب الصحيحة (البخاري، م: 7320، ص: 1808)، لا تأكيدَ ضرورة الاقتداء ببني إسرائيل والنصارى، وهذا دليل بيّن يظهر من خلاله تأثر الفاطميين في مسائلهم الفكريّة والعقدية بنصوص التوراة والإنجيل. (تامر، ص: 142)

ولا يقف الكاتب عند هذا الحد، بل نجده يتصرّف بتأويل النص القرآني بما يتناسب مع هاجسه السياسي والأيدولوجي، فالمستنصر بالله هو النبي سليمان، عليه السلام؛ حيث أوتي ملكا لم يؤتَ مثله أحد من آبائه، الأئمة السابقين، مثلما آأوتي االنبي سليمان، عليه السلام، وقد سُخرت له الريح، مثلما سخّرت للنبي سليمان عليه السلام، ويؤول تسخير الرياح بتأييد المستنصر بالله في كلّ مقام، كما سُخّرت له الشياطين، كما سخّرت لسليمان عليه السلام، ويتأول تسخير الشياطين بمعنى باطنا وهو انقياد المارقين له والمخالفين لأمره ونهيه. ويرى أن تأويلَ قوله تعالى: "وما كفر سليمان" أي أنّ الإمام المستنصر بالله الفاطمي لم يجحد ويخفي حقيقة الإمامة من بعده وعقدها لابنه المستعلي بالله، وتأويلَ قوله تعالى: "ولكنّ الشياطين كفروا" أولئك الذين جحدوا الإمامة وكفروا بها واتبعوا الهوى، ويريد بهم نزار ومن تبعه، هم من كفر، ويلاحظ الباحثان أنّ الكاتب في إيراد هذه التأويلات الباطنية المتتابعة للقصص القرآني يسعى إلى استغلال النص القرآني وتوظيفه لأبعد حدّ في سبيل الانتصار لعقيدته وهواجسه السياسية.

ويمكننا أن نلاحظ من التأويل السابق تحوير الكاتب لمضامين النصّ القرآني، وهذا مالا يمكن تبريره إلا بوقوع الكاتب ابن

الصيرفي ومن هم على نهجه في كثير من الافتراضات المجحفة عبر آلية التأويل، من منظور أن حدود افتراضاته غير مضبوطة، مطاطه، ولا يمكن القبض عليها، وهذا ما يشكّل غياب المنهج (فيدوح، ص: 87)، أو غياب حدود التأويل لدى الفاطميين.

**ثانيا: التأويل الإشاريّ غير المباشر:**

ويرى الباحثان أنّ الفاطميين لم يلتزموا بالتأويل الباطني الصريح المباشر للنص القرآني ومفرداته، بل لجأوا إلى التأويل الباطني الإشاري أو غير المباشر لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مع ذكر تأويلها في النصّ، ويوظّف الكتّاب مثل هذا النوع من التأويل الباطني في مسائل عقدية نحو مسألة العلوم اللدنية أو الباطنية، وتسلسل الإمامة، والشراكة أو المؤاخاة، وهي مسائل تتفق فيها الشيعة عامة والفاطميون خاصة، ويوظفونها في سياق أحقيّة علي بن أبي طالب في خلافة المسلمين بعد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم.

وأول هذه الإشارات ما يتعلق بمسألة العلوم اللدنية أو الباطنية أو ما يطلقون عليها (الحكمة) التي ورثها علي بن أبي طالب عن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما ورد في رسالة مبايعة من إنشاء علي بن خلف الكاتب، يقول بعد الحمد والثناء على الله تعالى: "**ويسألُه الصلاةَ على محمدٍ خاتمِ أنبيائِه، والخِيرةِ من خلصائِهِ، الذي شرَّفه بختامِ رسله، وإقرارِ نِيَابته في أهلِه، صلى الله عليه وعلى أخيهِ وابنِ عمّه وبابِ حكمتِهِ، عليّ بنِ أبي طالب وصيّهِ في أمتِه" (الكاتب، 665، والقلقشندي، ج: 9، ص: 406)**، وفي هذا النص إشارة لما روي عن الرسول الكريم أنه قال: "أنا مدينة العلم وعلي بابها" والحديث موضوع (الألباني، ج6: 2955، ص: 518- 530)، وكذلك إشارة لحديث آخر وهو: "أنا دار الحكمة وعلي بابها" والحديث ضعيف (الترمذي، 3723، ص:582)، فترديد الشيعة عامة والإسماعيلية خاصة لمفردات نحو: باب حكمته، وباب مدينة علمه، هي إشارات مباشرة إلى الحديثين السابقين، وإن لم يصحّا، وتأويلهما الباطني أن الإمامة واجبة في علي بن أبي طالب من بعد النبي، محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يشير إليه الكاتب بقواله في النصّ السابق: "وإقرار نيابته في أهله"، و"الحكمة أو العلم" هي العلوم الباطنة أو المُستودَعة التي يُعتمد عليها في التأويل.

ومن المسائل الدينية التي يحرص الكتّاب الفاطميون على الإشارة إليها مستندين إلى تأويل النصّ القرآني مسألة تسلسل الإمامة، التيتعدّ أصلا من أصول المذهب الفاطمي، ففي الرسالة الديوانية السابقة يشير الكاتب علي بن خلف في موضع آخر إلى هذه المسألة، يقول بعد الحمد والصلاة على النبي: "**ولذلك وصَلَ اللهُ حبلَ الإمامة، وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبِ أوليائِهِ إلى يومِ القيامة" (الكاتب، 665، والقلقشندي، ج:9، ص: 407)** والآية المُشار إليها في النصّ السابق قوله تعالى: **{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} (سورة الزخرف، الآية: 28)**،ويأتي الكاتب بتأويل الآية المشار إليها في النصّ ذاته عندما قال: "ولذلك وصلَ الله حبلَ الإمامة"، فالإمامة عند الفاطميين تنقتل من الإمام الأب إلى الابن في نسل علي بن أبي طالب، وعقيدة الفاطميين في ذلك أن الله لا يترك العالم خاليا من إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور(حسين، ص: 22)

وتعدّ مسألة المؤاخاة من الموضوعات التي كثرت الإشارة إليها في الرسائل الديوانيّة في العصر الفاطمي، فالكتّاب يحرصون كل الحرص على أن يأتوا بما يرسّخ حقّ الأئمة الفاطميين في خلافة البشر من بعد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وإحدى تلك الوسائل الإشارة إلى العلاقة التي ربطت علي بن أبي طالب بالنبي محمد، ومنها مسألة المؤاخاة، وفي رسالة للقاضي الفاضل في ولاية العهد نجد مثل هذه الإشارات، يقول بعد الصلاة على النبي: "**وعلى أخيهِ وأبينا أميرِ المؤمنينَ علي بنِ أبي طالبٍ المخصوصِ بأخوّته، وأبي الثقلينِ من عِتْرتِهِ، والسابق إلى الإسلام، فهو بغْدَه أبو عُذْرته... وعلى الأئمة من ذريتهما مصابيح الظلمات"(القلقشندي، ج:9، ص: 401)**، وفي هذا النص إشارة إلى حديثين ترويها الشيعة عامة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أما الحديث الأول فمتعلق بمسألة المؤاخاة بين النبي وعلي، والحديث يقول: "**من كنت مولاه فعلي مولاه**" وهو مما رواه العلماء (الترمذي، 3713، ص: 580)، وتتازع الناس في صحته، أما الحديث الآخر يسمى بـ"حديث الثقلين"، يقول: "**إنّي تاركٌ فيكم الثقلينِ كتاب الله وعترتي أهل بيتي**" وهو من الأحاديث الصحاح (الترمذي، 3788، ص: 589)، وكلا الحديثين تشترك الشيعة في روايتها، ويحتملان تأويلا واحدا في معتقدهم، وهو وجوب ولاية على بن أبي طالب بعد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ويشير الكاتب لمثل هذا التأويل في قوله: "**من ذريتهما**"؛ أي النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ومن بعده عليّ رضي الله عنه.

**الختام**

هذه وقفة مع مسألة التأويل الباطني أو ما يمكن تسميته الظاهر والباطن عند الكتّاب الفاطميين من حيث المفهوم والتوظيف، ووفق ما يراه الفاطميون الإسماعيليون ويوظفونه في مكاتباتهم، فهو لا يخرج عن كونه اسقاطات فكريّة سياسيّة على النصّ الشرعي

أو المصطلحات الفكريّة الخاصة بالفاطميين، وهذه الإسقاطات لا تتعارض مع حاجاتهم وواقعهم، وهذا ما يجعلها موافقة لفكرهم، وعادة ما يوظّف الكتّاب الفاطميون التأويل في رسائلهم الديوانيّة التي تحمل مضامين فكرية مذهبية وسياسية.

وتشير الرسائل الديوانية التي بين أيدينا إلى أن الفاطميين يعتمدون في التأويل الباطني أو استخلاص المعاني الباطنة الخفية من الألفاظ الظاهرة على عدّة مصادر تتمثل أولًا في شخص إمامُ العصر، فالتأويل الباطني أهم الوظائف المختصة به بحكم العلوم اللدنية التي يرثها عن الأئمة، وثانيًا ما ورد في الروايات الدينية نحو أسفار بني إسرائيل التي تتفق مع الواقع المعاش للفاطميين، وثالثًا قد تكون مستمدة من الفلسفة الأفلاطونية أو ما تسمى بنظرية المثل والممثول.

وقد توسّع الكتاب الفاطميون في مسألة التأويل الباطني للنصوص الدينية، وونلمح هذا التوسع في مظاهر التأويل لدى الكتاب، فقد وظفوا التأويل الباطني الصريح أو المباشر، فأوّلوا الآيات القرآنية ووكذلك المفردات القرآنية والأفعال القرآنية والقصص القرآني. كما أنهم لجأوا إلى التأويل الإشاري غير المباشر فتناولوا من خلال التأويل الباطني مجموعة من المسائل العقدية لدى الشيعة عامة والفاطميين خاصة، نحو العلوم اللدنية أو ميراث الأئمة، وتسلسل الإمامة، ومسألة المؤاخاة.

وما يرجوه الباحثان من القارئ الكريم أن لا يعدّ هذه الدراسة فهماً قطعيًا لأدب المرحلة، وإنما هي محاولة فهم لا أكثر، الغاية منها علمية، وهي قابلة للتطور بحجم المقروء واتساع الفهم.

## قائمة المصادر والمراجع


الأزهري(م) (282–370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي، 1967م.

الأصفهاني، (ر)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان علي داوودي، دار القلم– دمشق، ودار الشاميّة– الطبعة الرابعة،بيروت،2009م.

الألباني، (م)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، م، مكتبة المعارف، الرياض،) ط1)، 2000م.

البخاري، (م)، صحيح البخاري، دار بان كثير، دمشق، بيروت،(ط1)، 2002م. "

تامر، (ع)، الإمامة في الإسلام، دار الأضواء، بيروت، (ط1)، 1998م.

الترمذي(م)، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1999م.

الجوهري(ج)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، (ط4)، 1990م.

أبو الحسين، (أ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر العربي، 1979م.

حسين، (م)، في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، (ط1)، 1950م.

الخطيب، (م)، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، مكتبة الأقصى، عمان،(ط1) 1986م.

أبو زيد، (م)، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة،)ط2)، 1994م.

الزبيدي، (م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، راجعه: عبد السلام هارون، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، 1993م.

السيوطي، (ج)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط1)، 1997م.

الشيّال، (ج)، مجموعة الوثائق الفاطمية، المجلد الأول، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،1958م.

الشيرازي، (م)، المجالس المؤيدية، تحقيق: محمد عبد الغفّار، مكتبة مدبولي، القاهرة، (ط1) 1994م

داعي الدعاة، (م)، ديوان المؤيد في الدين، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة،(ط1) 1949م.

الصابوني، (م)، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، (ط4)، 1981م.

صليبا، (ج)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، واللاتينية،، مكتبة المدرسة، دار الكتب اللبناني، 1982م.

ابن الصيرفي، (ع)، الهداية الآمريّة في إبطال دعوى النّزاريّة ويتلوها إيقاع صواق الإرغام في إدحاض حجج أولئك اللئام، تصحيح: آصف بن علي أصغر فيضي، بمبي، الهند، 1938م.

الطباطبائي، محمد حسين(م)، تفسير الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997م.

ظهير، (إ)، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، 1985م.

الغزالي، (أ)، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1964م.

فيدوح(ع)، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الأوائل للنشر والخدمات المكتبية، دمشق، 2005م.

القلقشندي، (أ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

الكاتب، (ع)، مواد البيان، تحقيق: د. حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، 1982م.

الفاطمي،(م) السجلات المستنصرية، تقديم وتحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، مصر، 1954م.

المغربي، (ن)، أساس التأويل، تحقيق وتقديم: عارف تامر، منشورات دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1960م.
ابن منظور، (ج)، لِسان العرب، م:11، دار صادر، بيروت، ط2، 2002م.
ابن مُيَّسر، (ت)، المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1980م.

**References**

alʾazhariy, (m): tahdhib allughaḥ, 'iibrahim al'iibyari, dār alkātib alʿarabiy, 1967m. al'aṢfahāniy, (r), mufradāt 'alfāz alqurān, thqyq: Ṣafwān eali dāwudiy, dār alqalm- dimashq, & dār alshāmiyat,(4th ed), 2009m.

al'albāniy, (m), silsilat al'ahādith aldaeifat & almawdueat &'athariha alsayi' fi al'umati, , maktabat almaeārif, alrayāda, 1st ed, 2000m.

albukhāriy, (m), Ṣahih albukhāriy, dār bi'ana kuthyr, dimashqa, bayrut, 1st ed,2002m.

tāmir, (e), al'iimāmat fi al'iislām, dār al'adwā', biarut,1st ed,1998m.

altirmdhiy(m), jāmie altirmdhiy, bayt al'afkār aldawliyt, alrayād, 1999m.

aljawhariy,(a): alṣiḥāḥ, tāj allughat wa ṣiḥāḥ alʿarabiyat, taḥqĪq: ʾaḥmad ʿabd alghafūr ʿaṭṭār , dār alʿilm lilmalāĪn, bayrūt, lubnān, 4th ed. (1990m).

ʾabū alḥusasyn, (a), muejam maqāyis allughat, taḥqĪq: eabd alsalām Muḥammad hārun, dār alfikr alʿarabiy, 1979m.

ḥusasyn, (m), fi 'adbi miṢr alfatmiat, dār alfikr alʿarabiy, alqahirat, 1st ed 1950m.

alkhatib, (m), alharakāt albātiniyat fi aleālam al'iislāmiy eaqāeiduha wa hukim al'islām fihā, , maktabat al'aqṢā, ammān, , 1st ed 1986m.

ʾabū zayd, (m), naqid alkhitāb aldiyniy, sinā lilnashri, alqahirati, 2nd ed, 1994m.

alzubaydiy,)m) tāj alʿarūs min jawāhir alqāmūs taḥqĪqm,Maḥmood Muḥammad altināhiy, rājieh: eabd alsalamā hārun, wizārat al'iielām alkuaytiat, alkuayt, 1993m.

alsiyutiy, (j), husan almuhadarat fi 'akhbār miṢr walqahirat,wade hawashih: khalil munṢur, dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, biarut, 1st ed 1997m.

alshyyāl, (j), majmueat alwathāyiq alfātmiyat, almujlid al'awl, alqahirat, mutbaeat lajnat altaalif waltarjamat walnashr,1958m.

alshiyraziy, (m), almajālis almuiydiatu, tahqiq: Muḥammad eabd alghffār, maktabat madbuli, alqahirat, 1st ed 1994m

dāei aldueāt, (m), diwān almuiyid fi aldiyn, tahqiq: Muḥammad kāmil ḥusasyn, dār alkātib almaṢriu, alqāhirat, , 1st ed 1949m.

alsābuniy, (m), Ṣafwat altafāsir, dār alqurān alkarim, bayruut, (4th ed), 1981m.

saliybā, (j), almuejam alfilasafiu bial'alfāẓ alearabiati, walfaransiati, wal'iinjliziati, wallaatiniat, maktabat almudrisati, dār alkutub allubnaniy, 1982m.

abn alṢiyrāfiu, (e), alhidāyat alāmryt fi 'iibtāl daewā alnnzāryt wayatluhā 'iiqae Ṣiwaq al'iirghām fi 'iidhād hijaj 'uwlāyik alliyām, tashiha: aāṢaf bin eali 'asghar faydi, bimaby, alhund, 1938m.

altibatbāyiy, Muḥammad ḥusasyn(m), tafsir almizāi, muasasat al'aelamiy lilmatbueāti, bayaruut, 1997m.

ẓahir, ('i), al'iismāeiliat tārikh waeāqayidu, 'iidārat turjumān alsanati, lāhur bākistan, 1985m.

alghizāli, (a), fadāyih albātniati, taḥqĪq: eabd alrahmān bidawi, muasasat dār alkutub althaqafiatu, alkuayt, 1964m.

fiduh(ea), nazariat altaawil fi alfalsafat alearabiat al'iislāmiati, dār al'awāyil lilnashr walkhadamāt almuktabiati, dimashq, 2005m.

alqilqshnadiy, (a), Ṣubih al'aeshā fi sināeat al'iinshā, sharihh waealaq ealayh waqabil nususuha: Muḥammad ḥusasyn shams aldiyni, dār alfikr, wadār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, biarut, 1987m.

alkātib, (e), mawāda albayān, tahqiq: d. ḥusasyn eabd allatif, manshurat jāmieat alfātih, tarābulus, 1982m

alfātmiy,(m) alsjalāt almustanṢariyat, taqdim watahqiq: eabd almuneim mājid, dār alfikr alearabi, misr, 1954m.

almaghribiy, (n), 'asās altaawili, tahqiq wataqdim: eārif tāmir, manshuirāt dār althaqāfati, biruat, labnan, 1960m.

Ibin Manẓūr, (m). Lisān al-ʻArab.Dār Ṣādir, Beirūt, 2nd ed. (2002).

abn muyasr, (t), almuntaqā min 'akhbār miṢra, taḥqĪq: 'ayman fuād sayd, almaehad aleilmiy alfaransiy lilāthār alsharqiati, alqahirat, 1980m.